

الاتجاه الأثرى فى الميزان، دراسة خاطفة جامعة

محمدعلى لسانى فشاركى*

الملخص

للتفسير الأثرى فى عالمنا الإسلامى ولا سيما فى عالم التشيع، تاريخ طويل جدير بالدراسات المتأنية، وكل واحد منّا يعرف التفسيرين الأثرين الشيعيين المشهورين، أحدهما للسيد البحرانى وهو البرهان، وثانيهما للشيخ الحويزى وهو نور الثقلين، وكلاهما من أعلام الطائفة فى القرن الحادى عشر. وطال بعدهما الانتظار، وزاغت الأبصار طوال ثلاثة قرون أو أكثر، حتى طلع نجم ثالث فى سماء التفسير الأثرى الشيعى، وبرهن بظهوره للبرهان، وبهر بنوره نور الثقلين، ألا وهو الميزان فى تفسير القرآن لمفسره الكبير السيد الطباطبائى رحمه الله عليه. وكتب هذا المقال لم يعن بشئ إلا إظهار هكذا الظاهر، وإيضاح هكذا الواضح، الذى ربما يعد من القضايا التى قياساتها معها، وهو - كما قال الأولون - كالشمس فى رابعة النهار؛ نظرا إلى أهمية الموضوع بالنسبة إلى ما قد أضيف إلى صاحب الميزان ومؤلفه، منذ بزوغ هذا النير الأعظم فى الأفق الأعلى، والسماء العليا لتفسير كتاب الله الأكبر، وإلى ما قد قيل فيه وسوف يقال.

الكلمات الدليلية: الميزان، العلامة الطباطبائى، التفسير القرآنى للقرآن، التفسير الأثرى، مناهج التفسير، التفسير الموضوعى.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج.

المقدمة

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، لاسيما محمد المصطفى وآله المصطفين. ما يقال لك أيها القارئ الكريم في هذا المقال، إلا ما قد قيل من قبل، وسبق أن كان قيد الطبع منذ سنين، في كتاب العلامة الطباطبائي رحمه الله عليه، ذلك الكتاب القيم الخالد، الميزان في تفسير القرآن، ومقدمته الموجزة الجامعة، الفاصلة المفصلة الكافية، التي هي ميزان الميزان بل ميزان الموازين، في كل ما يتصل بترجمة كتاب رب العالمين وتفسيره، سواء للمسلمين وغير المسلمين في أنحاء العالم، أجمعين.

لقد برز وبرع الميزان في مجالس أهل القرآن ومدارسهم، واستقر في مستقره الأيمن في بيت التفسير المعمور، منذ أن كان فريداً يتيماً كالدرّ المنثور، ورفيماً مقيماً في الرّق المنشور، وكاد زيته يضىء من قبل أن يرجى له نور. وفور توفر صحائف الميزان في أيدي الأعدى والخلان، بدأ البادئون، وأنشأ الناشئون ونشر الناشرون، حول الميزان، وموازينه في مختلف الشؤون، فمنهم من اتهمه بخرق إجماع المفسرين، ومنهم من أخذه بما أخذ المتفلسفين، ومنهم من أشاد به كتفسير جامع مهيمن على جميع تفاسير الماضين، ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ (يس، ٤٠) أو كما أبان وبيّن مولانا جلال الدين صاحب المثنوى المعنوي: لا يبحث أحد عما خفي من قولي عن طريق أسرارى وإعلاني، بل كلُّ يصادقني على ما ظن بي، وأحب أن أكون كذلك! (بلخي، ١٣٨٧ش: ٣)

والقول الفصل والظنّ الراجح في جنب ما ظنّه المتقدّمون والمتأخرون، ما صدر مباشرة عن صاحب كلِّ كتاب فيما يتصل بكتابه وعن صاحب كلِّ رأى فيما يتصل برأيه. وعلى هذا، عنى مؤلف هذا المقال بحسّ نبض الميزان على يد صاحبه اليمنى، وحلّ لغزه بما ألقى صاحبه في مطاويه من المغزى، وأصدق القول عن هذا المقال، إنه ليس لمؤلفه فيه مقال إلا ما كتب السيد السند الحبر العلامة، وقال. وليس له إلا النقل والاقتصار عليه بحكم العقل. والآن قد آن الأوان لأن نشرع في المقصود بعون الملك المعبود، وهو الرحيم الرحمان المستعان.

أولاً، خلفيّة البحث

وهي طبعاً كل ما ألقى وكتب وقيل، حول الميزان ومنهج مفسره المفضل، من الغث

والسّمين، والخفيف والوزين، في حياة العلامة الأولى، وحياته الأبدية الأخرى، وكل ما جرى وأجرى في الحوزات العلمية والجامعات من جهة، وما كتب من كتب ورسائل، وألقى من دروس ومحاضرات في التفسير الأثرى، كمنهج من مناهج التفسير بعامة. وفي التفسير الأثرى الشيعي بخاصة، من جهة أخرى ولا يرى راقم هذ السطور أيّ جدوى في أن يسود صفحات عديدة، بعدّ التصانيف، وسرد التكاليف، قائمة في قوائم، وفهرسة في فهراس.

ثانياً، نظرة العلامة الخاصة إلى تفسير القرآن وتطوره

إن لتفسير القرآن كريم، كما ينظر إليه العلامة الطباطبائي رحمة الله عليه تاريخين: تاريخ عام، وهو ما اعتاده الباحثون، وما زالوا ولا يزالون، يكتبون ويدرسون، ويعلمون ويدرسون فيه كتأريخ التفسير والمفسرين؛ تاريخ عظيم، جاء بتراث عظيم؛ بيد أن العلامة لا ينظر إليهما بهاتيک النظرة المعتادة، ويصرح بما يفصل بين ما يراه ويراه الآخرون، حينما يقول بكلّ صراحة: «إن العناوين الأخر كالبحت والتنقيح والتطبيق، أجدر بذلك من عنوان التفسير.» (الطباطبائي، ج ١، لا تا: ٤ و ٦)

أما تاريخ التفسير الخاصّ، فالعلامة هو القائل فيه في مقدمته الموجزة للميزان: «والمراد بهم [أي مفسري الصحابة] غير علىّ عليه السلام فإن له وللأئمة من ولده خبر آخر سنتعرض له.» (المصدر نفسه، ج ١: ٤) فيا ترى، ما هذا الخبر الآخر وما هذا النبأ العظيم؟ الأخرى أن لا نعجل وأن نصبر - ولا نتقدم بين يديه - حتى يخرج إلينا ويخبرنا بنفس الخبر ولا ينبئك مثل خبير.

إن صاحب السيادة فضيلة السيد العلامة، رضوان الله تعالى عليه - قد أوفى بعهده في نفس المقدمة دون أن يطيل الكلام بلا طائل، إلا أنه أولى بما أوجب عليه المصطلح والمتلقى العلميين، وانتهى إلى بيان أن الصراط المستقيم في فهم القرآن، وتفسيره، والذي لا يجوز العدول عنه ولا الخروج منه، القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها، بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصادر ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات.» (المصدر نفسه، ج ١: ١١) وهذا هو الوازع لكثير من من أهل العلم، أن يعترفوا على تفسير العلامة

للقرآن الكريم في الميزان الشريف، ويعرفوه ويشيدوا به «مدرسة تفسير القرآن بالقرآن» وهذا هو الصحيح، ولكن هل يغتفرون في مثل هذا أن نأخذ بكلام العلامة الكبير في مقدمته على كتابه، ونترك سائر كلامه في مطاوى الكتاب نفسه، يسمح لنا ويسمع منا، أن نقول كما حكي الله سبحانه عن أعدائنا الألداء: ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾

أرأيت أن الروح العظيم والقلب السليم لسماحة سيد السادة، العلامة الطباطبائي قدس سره يرضى عنا ولا يشكو عند الله ورسوله والأئمة الهداة المهديين، أن نأخذ بعض كلامه ونترك البعض الآخر؟ أو أن نأتي ببعض بيانه في كتبنا ورسائلنا، ونأتي نحن بتمام البيان دونه؟! هذا ما فعله الكثيرون غفلة أو تغافلاً وجهلاً أو تجاهلاً، تجاهل العارفين وتغافل العالمين.

ثالثاً، مختبأ المشكلة ومفترق الطرق

هذا البيان المبين، الذي صدر من بنان قلم العلامة الرصين، وتصدر واستوى في أعلى عليين، هو بنفسه ما أغفل من غفل أو تغافل - وأغرى من جهل أو تجاهل - عن تمام الصحيفة وجملة الحقيقة، فيما يتصل بما يعتقد، ويعلن، ويخبر عنه العلامة، بالنسبة إلى كيفية اعتصامه بحبل الله المتين، ومنهج تفسيره لكتاب الله.

بيان ذلك، أن العلامة صرّح في بداية تقديمه لتفسير الميزان، أنه أوجز فيها وأجمل، وما أسهب ولا فصل. (المصدر نفسه، ج ١: ٤) وهو إذ يقول هذا ويصرّح هكذا في البداية، يشير إلى المستفيدين من إفاداته في مدرسة الميزان والمستسقين من فرات علمه الذي منّ عليه العليم المنان، أن يلتمسوا تفاصيل هذا الإجمال، في مطاوى الميزان، لاسيما في مظان العناية الخاصة بشأن هذا الإيجاز، وإن يطلبوا منه نفسه الإتمام، والإكمال، لا أن يأخذوا من العلامة العنوان، ويضعوا من عند أنفسهم ويصنعوا ما يأملون، ويعنونوه بذاك العنوان، ويضيفوا إلى العلامة ما يعنون استناداً بأن منه - أعلى الله مقامه - العنوان!

أو ليس نفس هذا العنوان «تفسير القرآن بالقرآن» أو «التفسير القرآني للقرآن» يدلي به البعض من الذين يشاققون الرسول والمؤمنين ويتبعون غير سبيل المسلمين، استناداً بآيات مفسّرات بآيات آخر من القرآن الكريم؟!

أو ليس الأكثرون ممن يتسّرّ بستانر تفسير القرآن بالقرآن، ويختبئ خلف هذا النقاب، يتفوهون بمبدأ تفسير القرآن بالقرآن بمثابة «كلمة حق يراد بها الباطل»؟ وعلى حد التعبير المنسوب إلى مولى الموحّدين على بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام في موسوعة نهج البلاغة؟ (يراجع أيضاً لبحث بدیع في نوعه! مباحث في علوم القرآن القرآن يفسرّ بعضه بعضاً ٢٩٩-٣١٢؛ وللمتقدمين في هذا البحث: الزركشي، ١٩٧٢م، ج٢: ١٧٥؛ السيوطي، ١٩٦٧م، ج٣: ٢٠٠)

رابعاً، التفسير بالرأى عند العلامة الطباطبائي (قدّس سرّه الشريف)

للعلامة الطباطبائي مباحث عدة يذيل بها تفسيره في الميزان للآيات السابعة إلى التاسعة من سورة آل عمران، منها مبحث خاص بـ«التفسير بالرأى» جامع لما رواه الفريقان مشتتلاً على عبارة «من فسّر القرآن برأيه» أو ما في معناه، قائلاً فيه: «...الإضافة في قوله (ص): «برأيه» تفيد معنى الاختصاص، والانفراد، والاستقلال، بأن يستقلّ المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس.... والبيان القرآني غير جار هذا المجرى.... فلايكفى ما يتحصل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها، ويجتهد في التدبر فيها...» (الطباطبائي، لاتا، ج٣: ٧٤)

ويستمرّ العلامة باحثاً وهو يقول: «فالتفسير بالرأى المنهى عنه، أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، وبعبارة أخرى إنما نهى عليه السلام عن تفهيم كلامه [تعالى] على نحو ما يتفهم به كلام غيره، وإن كان هذا النحو من التفهيم ربما صادف الواقع، والدليل على ذلك قوله (ص) في الرواية الأخرى: من تكلم في القرآن برأيه، فأصاب فقد أخطأ! فإن الحكم بالخطأ مع فرض الإصابة، ليس إلا لكون الخطأ في الطريق؛ وكذا قوله عليه السلام في حديث العياشي: إن أصاب لم يوجر.» (المصدر نفسه، ج٣: ٧٧)

ثم يأتي بفصل الخطاب فيما يريد أن يلقيه لتلاميذ مدرسته التفسيرية، ويلقنه إياهم ويقول: «والمحصّل أن المنهى عنه، إنما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المفسر على نفسه، من غير رجوعٍ إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه؛ وهذا

الغير - لامحالة - إما هو الكتاب أو السنة، وكونه هي السنة ينافي القرآن، ونفس السنة الأمرة بالرجوع إليه وعرض الأخبار عليه، فلا يبقى الرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن إلا نفس القرآن.» (المصدر نفسه، ج ٣: ٧٧)

ثم يؤكد - رضوان تعالى عليه - على أن التفسير بالرأى لا يخلو عن "القول" في الله وفي كلامه "بغير علم" كما ورد في الحديث النبوي: من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار! كذلك، يؤكد على أن التفسير بالرأى: «يؤدى إلى ظهور التنافى بين الآيات القرآنية من حيث إبطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها، فيؤدى إلى وقوع الآية في غير موقعها، ووضع الكلمة في غير موضعها...». وبالجملة، يؤكد العلامة على أن التفسير بالرأى يؤدى: «إلى اختلاط الآيات بعضها ببعض، ببطان ترتبها، ودفع مقاصد بعضها ببعض.... وهذا [هو] الذى ورد التعبير عنه فى الروايات بضرب بعض القرآن ببعض.» (المصدر نفسه، ج ٣: ٨٠-٨١)

خامساً، تفسير القرآن بالقرآن فى مدرسة الميزان

ثم يختم العلامة بحوثه القيمة فيما يتصل بالآيات الثلاث من أوائل سورة آل عمران ببيان ردّ جامع وتعريف بالغ، لتفسير القرآن بالقرآن فى مدرسته بحيث يشتمل على المبانى والأصول والقواعد لهذا المنهج التفسيري الفذ، الذى هو الصراط المستقيم فى تفسير النبأ العظيم والقرآن الحكيم، وذلك بعد تقديم مقدمتين:

الأولى، «إن الطريق إلى فهم القرآن كريم غير مسدود، وإن البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الرهادى إلى نفسه، أى إنه لا يحتاج فى تبين مقاصده إلى غيره، فكيف يتصور أن يكون الكتاب الذى عرفه الله تعالى بأنه هدى وأنه نور وأنه تبيان لكل شئ، مفتقراً إلى هاد غيره، ومستنيراً بنور غيره، ومبيناً بأمر غيره؟! ...». وكما ورد عن أئمة أهل البيت (ع): من زعم أن كتاب الله مبهم فقد هلك، وأهلك.

والثانية: إن حديث الثقلين الصحيح، المروى بطريق متواترة عن جمّ غفير من الصحابة دالّ على حجية ظواهر القرآن، وحجية بيان أهل البيت (ع) فى تفسيره معاً، دون أن يفرّق بينها؛ فللقرآن الدلالة على معانيه، والكشف عن المعارف الإلهية، ولأهل البيت (ع) الدلالة

على الطريق وهداية الناس إلى أغراضه ومقاصده.

والنتيجة، أن التفسير المعزوب إليه هو تفسير القرآن "من طريقه" مستدلاً بدلالة أهل البيت (ع) على طريق تفسير القرآن، مستهدياً بهدایتهم إلى أغراض القرآن ومقاصده؛ والتفسير المنهَى عنه تفسير القرآن "من غير طريقه" وهو التفسير بالرأى، وضرب القرآن بعضه ببعض، من غير استهداءٍ بهداية أهل البيت (ع) ومن غير استدلال من دلالتهم. (المصدر نفسه، ج ٣: ٨٦-٨٧)

وفصل الخطاب، هو «أن المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية، وذلك بالتدرب بالآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم، وتهيئة ذوق مكتسب منها، ثم الورد؛ والله الهادي.» (المصدر نفسه، ج ٣: ٨٧)

فكما أشرنا إليه آنفاً، قد وصل العلامة الطباطبائي رحمه الله عليه بهذا البيان الواضح القديم، وأوصل تلامذة مدرسته التفسيرية إلى منهج تفسير القرآن بالقرآن، كما يعنيه ويعتقده؛ غير أنه - رضوان الله تعالى عليه - أوجز فيما كان حقه الإطناب والإسهاب، وأجمل فيما كان حقه التفصيل والإيضاح، وهو بيان مباني هذا المنهج وتأسيس أصوله، وإرساء قواعده، حتى لا يرتاب فيه مرتاب، ولا يريب فيه مريب، وحق القول إنه أتم هذا الأمر أحسن الإتمام، وأكملة غاية الإكمال، لكن ليس في مقدمته للميزان الموجزة، بل في مطاوى الميزان المفصلة، ومناحيه المختلفة المتنوعة، بحيث لا يوجد في كل الميزان البالغ إلى العشرين مجلداً، عُشر ورقة لا ينحو نحو هذا المنهج سواءً في أبحاثه الروائية، والقرآنية، والفلسفية، والعلمية.

ومستصفي المقال أن "تفسير القرآن بالقرآن" على حد تعريف العلامة الطباطبائي رحمه الله وتبيينه هو أن يتدعى المفسر الباحث في كل موضوع يريد أن يتوصل فيه إلى ما يقوله القرآن، بمطالعه واستطلاع "في الآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته، صلى الله عليه وعليهم" حتى يتحصّل ويتهيأ له ذوق فيما يتصل بموضوع بحثه التفسيري، ويحصل على ترتيب المسائل وترتيبها ومواضع الكلم ومواقعها أولاً، ثم يرد بعد هذا التدرب والتدريب، وبهذه العقلية التابعة لحديث النبي والآل، وبهذه الفكرة المتخذة من مدرسة أهل البيت (ع) وعلومهم الإلهية النبوية إلى حوزة فهم القرآن الكريم وتفسير آياته وسوره، ثانياً مستمداً في

هذا الفهم والتفسير بالقرآن نفسه، مفسراً الآية بالآية؛ وإلا، وفي غير هذه الصورة كان ملقياً نفسه بيده إلى التهلكة مهلكاً لغيره بإضلاله، وإغوائه، هاوياً في مهواة التفسير بالرأى، ضارباً - من غير ترتيب وروية - بعض القرآن ببعض. وهذا يعنى أن الميزان فى تفسير القرآن عند العلامة الطباطبائى رحمه الله، الذى لا يحل ولا يجوز العدول عنه، ولا الخروج عليه، إنما هو علوم أئمة أهل البيت (ع)، وتعاليمهم، وبالتالى يعنى أن كتاب الميزان فى تفسير القرآن إنما هو تفسير أثرى شيعى، لا غير وهو ثالث الثلاثة الكتب فى التفسير الأثرى فى عالم التشيع بعد البرهان ونور الثقلين.

سادساً، مقدمة العلامة الطباطبائى رحمه الله، على تفسير نور الثقلين

إن خير الكلام ما قلّ ودلّ، ولا أقلّ ولا أدلّ على ما نريد قوله فى مختتم هذا المقال، وهو انتهاء تطور التفسير الأثرى الشيعى طول القرون، إلى "الميزان" الذى أحكمه وحكمه العلامة الحكيم، والمفسّر الكبير، والمتحدث البارع، السيد السند الطباطبائى - رضوان الله تعالى عليه - من مقدمته المكتوبة بيمينه المباركة المثبتة فى مقتتح النسخة المطبوعة الدارجة من تفسير نور الثقلين، كما أثبت فى صحيفة العنوان، والتى كتبه فى ١٥ من ذىحجة الحرام سنة ١٣٨٢ق، والمرجو من القارئ الكريم أن لا ينظر إليها كقول منقول، بل كموضوع معقول الذى يجب التدبر فيه حق التدبر.

«اللهم لك الحمد على ما أنعمت علينا بكتابتك الذى جعلته نوراً وفرقاناً، وأنزلته على عبدك ورسولك محمد صلواتك عليه وآله ليكون للعالمين نذيراً، ثم أتممت علينا نعمتك بالطاهرين من آله الذين جعلتهم خزان علمك، وحَمَلَةَ نورك، وأذهبت عنهم الرجس - أهل البيت - وطهرتهم تطهيراً. اللهم صلّ على محمد وآله واهدنا بهم إلى كتابك الكريم، وصراطك المستقيم، ونور قلوبنا بنور التمسك بهذين الثقلين، اللذين لا يفترقان إلى يوم لقائك، إنك رؤوف رحيم. أما بعد، فإن أحسن القول، وأجمل الحديث، ما أنبأ عن الحق، ولازم الصدق، وعمّ نفعه، وأمن ضرّه، ولم يأته الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهو كلام الله العزيز والصحيح المأثور من حديث نبيه وآله. وكما حبا الله سبحانه هذه الأمة بنعمته، وأتممها،

أدام نعمته عليهم بما بعث في كل برهة جماعة من رجال العلم، وحمّلة الحديث، على تحمّل كل مشقة في حفظه، وبذل الجهد في نقله، ونشر بركاته. هاتيك آيات العلم، لاتنسخ منها آية إلا أتى الله بأخرى منها، وهو القائل عزّ من قائل: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ ولا يأتي الله أرضها ينقصها من أطرافها شيئاً إلا أوسع في أرجاء سمائها أشياء، وهو القائل جلّ وعزّ: ﴿والسما بيناها بأيّد وإنا لموسعون﴾ ومن أحسن ما جمعه أزمنة المجاهدة بعواملها، وخطته أيدي التحقيق، بأنملها في هذا الشأن - أو هو أحسنه - هو كتاب نور الثقلين لشيخنا الفقيه المحدث المبرع، الشيخ عبد عليّ الحويزي ثمّ الشيرازي، قدس الله نفسه، وروّح رسمه، الذي جاد به عصر أساطين الحديث، وجهابذة الرواية، وهو النصف الأخير للقرن الحادى عشر من الهجرة تقريباً، الذي سمح بمثل مولانا المجلسى صاحب البحار، ومولانا الفيض صاحب الوافى، وشيخنا الحرّ العاملىّ صاحب الوسائل، وسيدنا السيد هاشم البحرانى صاحب البرهان، رضوان الله عليهم أجمعين، ولعمري، أنه الكتاب القيم الذى جمع فيه مؤلفه شتات الأخبار الواردة فى تفسير آيات الكتاب العزيز، وأودع فيه عامة الأحاديث المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة، سلام الله عليهم، إلا ما شدّ منها. ولقد أجاد فى ضبطها وترتيبها، والإشارة إلى مصادرها والجوامع المنقولة هى عنها، وبذل جهداً فى تهذيبها وتنقيحها؛ جزاه الله عن العلم وأهله خيراً، وهدانا بنور الثقلين، وأحيا قلوبنا بالعلم واليقين، آمين.» (العروسى، ١٣٨٣ش، ج: ١، ب و ج)

لاريب فى أن الناظر فى هذه المقدمة لهذا الكتاب يرى ويعاين بحيث لايدانيه شك ولاارتباب، أن العلامة الطباطبائى رحمه الله يرى، ويعتقد أن المنهج الأوحى للتفسير، هو التوفيق بين القرآن، والحديث، والعمل التفسيريّ الصالح الصحيح، هو بيان وتبيين الموافقين بين الحديث والقرآن، وهو ما يعنيه ويقصده بـ "الميزان - أى المعيار والملاك والقسطاس - فى تفسير القرآن" عنواناً ومعنواً؛ وكذلك يرى بعين البصيرة والاعتبار أن العلامة رحمة الله عليه فى هذه المقدمة الموجزة أيضاً - صرح بجميع ما كان يريد أن يقول به، ويلقيه على تلاميذ مدرسته، درساً وبحثاً وإفادة وتدريساً، فى كلّ ما يتعلق بتاريخ التفسير وتطوره - كما ينظر إليه العلامة رحمه الله طبعاً - وفى كل ما يراه واجباً على كل من يريد أن يرد حوزة

تفسير القرآن العلمية، أو يحوم حول حماها، وينتفع بنفسه، وهداه ويأمن ضرّه والضلالة فيه. لكنّ السيد العلامة رحمه الله يقتصر في هذه المقدمة، ويتراءى أنه يتعمد هكذا الاقتصار، على المزايا دون الرّزايا، ومن الطبيعي أن يكون هكذا، وهو المقرظ لمحصل التفسير الأثرى الشيعي، ولا ينبغي أن يحس منه حسيس التعريض؛ على أنه رحمه الله رأى - فيما يبدو - أي تعريض يتفوّه به مساوقاً لمدح نفسه، ونقضاً صريحاً لغرضه في هذا التقريظ حيث إنه لا يريد أن يشيد بما حباه الله نفسه إتماماً للنعمة بعد الإتمام، وإكمالاً للكرامة بعد الإكمال، عندما وفّقه لتأليف البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن أولاً، ومكّنه من تأليف الميزان في تفسير القرآن ثانياً، والعارف تكفيه الإشارة.

والنقيصتان اللتان يعانى منهما التفسير الأثرى الشيعي، لا بعد ما ألف البرهان، ونور الثقلين فحسب، بل قبلهما، ولا يزال يقاسيهما إلى الآن، وقد أجاد رحمه الله في رفع كلتا النقيصتين، بتأليف البيان والميزان، وأتى في كل ما يتعلق بهما بالقول الفصل، وفصل الخطاب، هما البيان والتبيين لوحدة كتاب الله وعتره رسول الله واتحادهما، وامتناع افتراقهما أولاً، وهو الحقل الذي أحسن فيه وأصاب، بما تبين من الموافقة بين حديث النبي (ص) وأهل البيت (ع)، وستهم، والكتاب، وبما أسّس مدرسة لتفسير القرآن بالقرآن، مبتينة على المباني المأخوذة، والأصول المتخذة، والقواعد المعتمدة من علوم أهل البيت (ع) ومعارفهم؛ وثانياً البيان الحكمي المحكم، والتبيين الفلسفي المعقول، لثراث أهل البيت (ع) الحديثي المنقول، حتى يتبين لكل مسلم في عالم الإسلام، أن كلّ ما قاله أئمة الشيعة الإمامية، وقالوا به، هو تفسير القرآن نفسه، بل هو نفس القرآن؛ ويتسنى لكلّ باحث وناظر في العالم الإنساني أجمع، أن يعلم علم اليقين أن ما يعتقد ويقول به المسلمون الشيعة، ليس مما يدفعه العقل ولا يقبله العلم، بل إن علماء أهل البيت (ع) أئمة الشيعة، هم علماء المعقول قبل أن يكونوا علماء المنقول، وليس شأنهم شأن أكثر الدعاة، والرّواة في تاريخ الإسلام والعالم الإسلامي؛ وبالتالي، أن يتعرّفوا على علوم أهل البيت (ع) وتعاليمهم، كتفصيل لكلّ شئ كما هو الشأن بالنسبة إلى القرآن.

سابعاً التفسير الأثرى الشيعي سابقاً ولاحقاً

بقي علينا أن نقرر، أن هذه النهضة الناهضة، بنفس هاتينك الاتجاهتين، وهذه الحجة

القائمة الميهمنة على هاتين الجهتين التي تعرّفنا في هذا المقال، وبحقّ أن العلامة الطباطبائي رحمه الله كقائد، وبان، ومؤسس لها قد سبق أن تكونت وابتدأت باهتمام بالغ من ناحية شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي - أعلى الله مقامه - في كتابه الذي أسماه التبيان الجامع لعلوم القرآن، وبدل اسمه الناسخون والناشرون، حتى اشتهر باسم التبيان في تفسير القرآن، أو تفسير التبيان، (يراجع: الطوسي، لاتا، المقدمة: ٥) وتخطت خطوات سريعة بناءة على يد أمين الإسلام الشيخ أبي عليّ فضل بن الحسن الطبرسي - قدس الله سرّه - في كتابه الذي سماه مجمع البيان لعلوم القرآن، وأشهره - أيضاً - الناسخون والناشرون، باسم مجمع البيان في تفسير القرآن، أو تفسير المجمع، أو تفسير الطبرسي، (يراجع: الطبرسي، ١٩٨٦م، ج ١: ٥ - ١٦) واتسعت غاية الاتساع، وأكملت واعتلت في المنهل العذب الصافي تفسير القرآن للمولى محسن الفيض القاساني، (يراجع: الصافي، لاتا، المقدمة وبخاصة: ٣) حتى تصدت لها، وأرسي كرسيها، واستوى على عريشها، علامة عصرنا الحاضر "السيد محمد حسين الطباطبائي" كما كان أحب إليه أن يقصّر في تسميته، وتلقيه لفظاً وكتياً، عليه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

البحراني، العلامة السيد هاشم الحسين. لاتا. البرهان في تفسير القرآن. تصحيح: محمود بن جعفر الموسوي

الرزندی، ويحيى الله بن كريم الله التفرشي البازرجاني. طهران: أفتاب.

بلخي، مولانا جلال الدين محمد. ١٣٨٧. مثنوي معنوي، بر اساس نسخه نيكلسون، به كوشش سعيد

حميديان. چاپ چهارم. تهران: قطره.

الذهبي، محمد حسين. ١٩٧٦م. التفسير والمفسرون. الطبعة الثانية. بيروت: دارالكتب الحديثة.

الزركشي، الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله. ١٩٧٢م. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم. الطبعة الثانية. بيروت: دار المعرفة.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. ١٩٦٧م. الإتيقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

القاهرة: لانا.

الصادق الطهراني، محمد. ١٤١٩ق. البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن. الطبعة الأولى. قم: إسماعيليان.

الصالح، صبحى. ١٩٨٣م. *مباحث فى علوم القرآن*. الطبعة الخامسة عشرة. بيروت: دار العلم للملايين.
الطباطبائى، العلامة السيد محمد حسين. *لاتا، الميزان فى تفسير القرآن*. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة
العلمية.

الطبرسى، أمين الإسلام الشيخ أبوعلی الفضل بن الحسن. ١٩٨٦م. *مجمع البيان لعلوم القرآن* (مجمع
البيان فى تفسير القرآن). تحقيق وتعليق: السيد هاشم الرسولى المحلاتى. الطبعة الأولى. بيروت: دار
إحياء التراث العربى.

الطوسى، شيخ الطائفة الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن. *لاتا، التبيان الجامع لعلوم القرآن* (التبيان فى تفسير
القرآن). تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملى. بيروت: لانا.
العروسى الحویزى، العلامة الشيخ عبدالعلی بن جمعة. ١٣٨٣. *نور الثقلين*. تصحيح وتعليق: السيد هاشم
الرسولى المحلاتى. الطبعة الثانية. قم: المطبعة العلمية.



پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
رتال جامع علوم انسانی